

دراسة وتأمل في عيد الصعود الإلهي

القارئ روجيه الياس سابا

بيروت، في ٢٦ نيسان ٢٠١٠

CONTENTS

1.....	تشديد الأناجيل على قيامة المسيح بالجسد
2.....	آثار الجراح على جسد القائم
2.....	الإنسان على العرش الإلهي
3.....	من الفصح إلى الصعود إلى العنصرة
4.....	جسد القيامة الممجد
4.....	الملائكة المبشرين بالصعود
4.....	الصعود عمل الثالوث القدوس
5.....	الصعود والمجيء الثاني
6.....	أيقونة الصعود مع السيّد
6.....	أيقونة الصعود وصورة الكنيسة
6.....	الصاعد إله وموئل
7.....	شركة الأرضيين والسماويين

في هذا البحث سوف نكتشف، بإذن الله، معنى العيد الحاضر من خلال درس النص الكتابي والنصوص الليتورجية والتأمل في الأيقونة.

تشديد الأناجيل على قيامة المسيح بالجسد

يركّز لوقا البشير، في الجزء الأول (٣٦ - ٤٣) من هذا الإنجيل الذي يُقرأ في العيد، على قيامة المسيح بالجسد، مؤكداً أنّ الذي ظهر للتلاميذ ليس بروح، وإن كان ظهر في وسطهم فجأةً والأبواب مغلقة. فالروح ليس له لحمٌ وعظامٌ ولا يأكل السمك وشهد العسل.

في بشارة الإنجيلي يوحنا أيضاً، يُعطي المسيح للمؤمنين براهين كثيرة على قيامته بالجسد حين قال لتوما:
«هَاتِ إصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا.» (يو

(27، 20)

كذلك يتفرد يوحنا بإيراد حدث ظهور القائم للتلاميذ على بحيرة طبريا (يو 21، 1 - 17) حيث أكل معهم خُبزاً وسمكاً.

تشديد الأناجيل على حقيقة القيامة بالجسد كان رداً على بدعة ظهرت في زمن الكنيسة الأولى، وهم أناس يرفضون قيامة المسيح بالجسد ويزعمون أنّ الرسل "شُبّه لهم" أنّهم رأواهُ بالجسد. هذه البدعة هي من مخلفات الفكر الأفلطوني المحتقر للجسد، والذي يرى فيه سجنٌ للنفس. الأناجيل، بإعلانها قيامة المسيح بالجسد وجلوّسه بالجسد عن يمين العرش الإلهي تكون قد دحضت إلى ما لا نهاية كل فكر يحقّر الجسد.

آثار الجراح على جسد القائم

السيدّ، بتدبير تحنّنه، ترك آثار الجراحات بعد القيامة، ثمّ صعد بهذا الجسد الموثوم بالجراح إلى السماء، كأنّها أوسمة غلبة. في ذلك يقول أوغسطينوس المغبوط: "مع أن جراحاته شُفيت، فإن آثارها قد بقيت! إذ حكم هو بأن هذا نافع للتلاميذ، أن يستقي آثار جراحاته لكي يشفي جروح أرواحهم، جراحات عدم إيمانهم!". آثار الجراحات هي البرهان أنّ يسوع القائم هو نفسه الذي تألم وصلب. ويقول القديس أمبروسيو: "... لقد قبل الرب أن يرتفع إلى السماء بالجراحات التي تحملها لأجلنا، ولم يشأ أن يمحوها، حتى يظهر لله الآب ثمن تحريرنا. بهذا يجلس عن يمين الآب وهو حامل لواء خلاصنا."

الإنسان على العرش الإلهي

لوقا البشير يتحدّث عن صعود يسوع إلى السماء باقتضاب لأنّه سوف يتناول هذا الموضوع بتفاصيله في كتاب أعمال الرسل. إلّا أن الإنجيلي مرقس (١٦، ١٩) يُضيف تفصيل مهم قائلاً: "ثمّ إنّ الربّ بعد ما كَلَمَهُمْ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ." مريداً أن يسلط الضوء على كون الطبيعة البشرية الساقطة، أعطيت ببسوع كرامة عظيمة.

عبّرت خدمة العيد الليتورجية عن هذا المعنى الأساسي للعيد وهو أنّ الإنسان الساقط أصبح بالمسيح "أعلى من الملائكة". لذلك "الملائكة يتعجبون، إذ يشاهدون إنساناً أعلى منهم..". و"الأرض كشفت مستوراتها إذ عرفت سقوط آدمّ وصعوده أيضاً...". كما تقول ترتيلة زياح العيد (الليتين): "أيها الإله، إنّ طبيعة آدمّ التي تهوّرت إلى أسافل أقسام الأرض، جدّتها بذاتك وأصعدتها اليوم فوق كلّ رئاسة وسلطان، وبما أنّك أحببتّها أجلستها معك ومن كونك تحنّنت عليها، أتحدثها بك، ولأنّك اتّحدثت بها تألمت فيها، وإذ صابرت بها الآلام وأنت عديم التألم، مجدّتها معك." كذلك قنداق العيد: "لما أتممت التدبير الذي من أجلنا وجعلت الذين على الأرض متّحدين بالسمويين، صعدت بمجدّ أيها المسيح إلّهُنا غير منفصل من مكان، بل ثابتاً بغير افتراق وهاتفاً بأحبّاتك: أنا معكم وليس أحدٌ عليكم."

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن "قد ارتفعت (طبيعتنا في شخص الإله المتجسد) فوق السماوات، وسمت فوق الملائكة. لقد عبرت فوق رؤساء الملائكة والشاروبيم، وحلقت فوق السيرافيم، عالية أكثر من كل القوات السمائية، واستراحت في العرش الإلهي الحقيقي وحده...
يحدثنا القديس يوحنا الذهبي الفم عن فرح الملائكة بصعود المسيح قائلاً: "اليوم (عيد الصعود) استعاد الملائكة من فقدوهم منذ زمن طويل!... الذين يشناقون إلى رؤيتهم منذ زمن بعيد!... لأنه عندما حلّ بنا العقاب حزنوا. وبالرغم من أن الشاروبيم وقفوا حارسين الفردوس (عند طردنا)، إلا أنهم اغتموا من أجل شقائنا..."

دور الملائكة، بحسب الذهبي الفم، هو تعزيتنا من خلال تذكيرنا بمجيء المسيح الثاني، إذ يقول: "وقف الملك بمن حزنوا عند الصعود، مذكراً إياهم بأنه سيأتي أيضاً مرة أخرى "إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء".
المسيح بصعوده بالجسد، يُشير أيضاً إلى قيامة أجساد المؤمنين به، كما يقول القديس يوستينس: "عندما أراد إظهار أنه توجد قيامة للجسد حقيقية، وأنه ليس مستحيلاً أن يصعد الجسد إلى السماء، ارتفع إلى السماء وهم يشخصون"، إذ كان هو في الجسد."

من الفصح إلى الصعود إلى العنصرة

قبل أن ينطلق إلى السماء، نرى في النص الإنجيلي المسيح يطمئن الرسل بأنه سوف يكون أميناً لوعده السابق بأن يكون معهم إلى انقضاء الدهر بقوة لاهوته الحاضر في ملئه بالروح القدس. لذلك يقول لهم: "فأقيموا في مدينتي أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلي". فهو لا يريد لهم أن ينطلقوا إلى البشارة، إلا متى أصبحوا ممتلئين من الروح القدس، الذي سوف يحفظهم كما حفظهم هو عندما كان معهم على الأرض. في ذلك يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "كما أن القائد لا يسمح لجنوده أن يواجهوا كثيرين ما لم يتسلحوا أولاً، هكذا لم يسمح الرب لتلاميذه أن ينزلوا للصراع ما لم يحل الروح أولاً".
ولكن الذهبي الفم يسأل: لماذا لم يحل الروح القدس علي التلاميذ أثناء وجود السيد المسيح على الأرض، أو بعد صعوده مباشرة؟ ثم يجيب: "كان لائقاً أنه يلزمهم أولاً أن يكون لهم شوق عظيم لهذا الحدث، وعندئذ ينالون النعمة. لهذا السبب رحل المسيح نفسه، وبعد ذلك حلّ الروح. فلو أن المسيح كان حاضراً لما تقبلوا الروح بغيره هكذا...".

الروح القدس هو "المُعزّي" لنا، إذ به نعرف أن المسيح يسوع، وإن صعد إلى السماء بالجسد، هو معنا في كل حين بروحه القدوس. لذلك يقول أيضاً القديس يوحنا الذهبي الفم أن "يليق بطبيعتنا أن تُرى في السماء،

وأن تصوير المصالحة كاملة؛ عندئذ يأتي الروح ويصير الفرح غير مشوبٍ. فلو أن الروح قد جاء فعلاً وبعد ذلك رحل المسيح وبقي الروح، لكانت التعزية ليست عظيمة هكذا.

في خدمة عيد الصعود الليتورجية تتكرر هذه الكلمات: "إرفعوا يا رؤساء أبوابكم"، وهي تذكّرنا بهجمة الفصح عندما يقول الكاهن وهو يقرع أبواب الكنيسة: "إرفعوا ايها الرؤساء ابوابكم، ارتفعي ايها الابواب الدهرية، ليدخل ملك المجد...".

بعض العبرات الاخرى تظهر لنا علاقة الصعود بالعنصرة: "إنَّ الربَّ قد صعدَ إلى السماوات، لكي يُرسلَ المُعزِّيَ إلى العالم..."، و"...أيها السيِّدُ، لا تُغادرنا يتامى نحن عبيدك الذيم أحببنا، لكن أرسل روحك الكليَّ قدسه حسب وعدك، لئنيّر نفوسنا."، "صعدت بمجد أيها المسيح إلهنا، وفرحت تلاميذك بموعد الروح القدس، إذ أيقنوا بالبركة أنك أنت ابن الله المنقذ العالم."

هذا الترابط بين العياد، أراد به أبائنا أن يوضحوا لنا أن العيد الاساسي في الرزنامة الكنسية، هو الفصح، "عيد الأعياد وموسم المواسم". إذ لو لم يقم المسيح من بين الأموات، لما صعد إلى السماوات بالجسد، ولما أرسل لنا الروح القدس يوم العنصرة.

جسد القيامة الممجد

يقول لنا كتاب أعمال الرسل (أع ١: ١-١٢) أن الرب: "ارتفع وهم ينظرون. وأخذته سحابة عن أعينهم". الجسد الطبيعي يقع تحت سلطان الجاذبية، أما جسد الرب، إذ صار ممجداً ونورانياً بقيامته من الأموات، ولا سلطان للجاذبية الأرضية عليه.

الواضح من ظهورات الرب بعد القيامة أنه مختلف عن جسدنا الحالي، فهو يدخل والأبواب مغلقة، وقد أخفي عن معرفته تلميذي عمواس، وما عرفاه إلا عند كسر الخبز، إشارة إلى سرّ القربان، أي معرفة أسرارية. في ذلك يقول القديس يوحنا الدمشقي: "صعوده إلى السماء من الأرض، ومرة أخرى نزوله من السماء إلى الأرض، يعلنان عن طاقات دائرة جسمه."

الملائكة المُبشِّرين بالصعود

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: أن التلاميذ رأوا نهاية القيامة ولم يروا بدايتها (إذ لم يروه أثناء قيامته). "أما في الصعود فرأوا البداية ولم يروا النهاية. فبالنسبة للأولى (القيامة) لم يكن من الضروري أن يروا البداية، لأن الرب نفسه الذي يتحدث بهذه الأمور حاضر، والقبر يعلن بكل وضوح أنه ليس فيه السيد. وأما في الأخيرة فكانوا محتاجين أن يتعرفوا على التكملة بكلمة الغير (بواسطة الملاكين). فلم تكن أعينهم قادرة أن تريهم إياه، أي في العلا، ولا أن تخبرهم بأنه بالحقيقة صعد إلى السماء... لذلك جاءت ملائكة تخبرهم به."

الصعود عمل الثالوث القدوس

"ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ". السحابة تُشير إلى الحضور الإلهي، لأنَّه في السحابة أي في الغمام ينعدم النظر، وهذا يرمز إلى استحالة معرفة الجوهر الإلهي. هكذا ظهر الله لبني إسرائيل في في خيمة الاجتماع عن طريق سحابة (خر 13: 21؛ 40: 34)، وكذلك عند تكريس سليمان الهيكل غطت سحابة البيت (2 أي 5: 13: 14)، كذلك في جبل التجلي سَمِعَ الرسل الثلاثة صوت الآبِ نحو المسيح الرب من سحابة منيرة حوله (مت 17: 5). لذلك، صعود المسيح كان في السحابة المنيرة إشارة إلى حضور الآب.

القديس يوحنا الذهبي الفم يُقارن بين صعود النبي إيليا وصعود الرب يسوع قائلاً: "فإن الملاكين وقفوا بهم وأوضحا لهم حقيقة الصعود إلى السماء، حتى لا يظنوا أنه أخذ إلى فوق حيث يوجد إيليا، بل بالحق صعد إلى السماوات ولهذا السبب قيل لهم: "هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء". لم يصف هذا القول بغير سبب. لكن إيليا أخذ إلى فوق كما إلى السماء، لأنه خادم. أما يسوع فقد صعد إلى السماء (حيث العرش الإلهي) إذ هو الرب. واحد صعد في مركبة، والآخر في سحابة. عندما دُعي العبد أرسلت إليه مركبة، أما الابن فإذ له العرش الإلهي، وليس أي عرش بل عرش أبيه، وقد جاء في إشعياء... "هوذا الرب راكب على سحابة" (إش 1: 19)...

في صلاة الغروب نرتل: "إنَّ الربَّ قد صعدَ إلى السماوات، لكي يُرسلَ المُعزِّيَ إلى العالم. فالسماوات هيأتُ عرشه، والغمامُ هيأتُ رُكوبه، الملائكةُ يتعجبون، إذ يُشاهدون إنساناً أعلى منهم. الآبُ يتقبَّلُ في أحضانه من هو معه أزلياً، والروحُ القدسُ يأمرُ جميعَ ملائكته: "إرفعوا يا رؤساءُ أبوابكم، ويا جميعَ الأممِ صفقوا بالأيدي، لأنَّ المسيحَ صعدَ إلى حيث كان أولاً".¹ في هذه الترتيلة، كما في معظم الأعياد السيديَّة، تركيز على عملِ الثالوث الأقدس في الحدث المعيد له: فالإبنُ "قد صعدَ إلى السماوات، لكي يُرسلَ المُعزِّيَ إلى العالم." و "الآبُ يتقبَّلُ في أحضانه (الابن) من هو معه أزلياً؛" والروحُ القدسُ يأمرُ جميعَ ملائكته: "إرفعوا يا رؤساءُ أبوابكم" مهياً صعود الابن.

الصعود والمجيء الثاني

يقول لنا كتاب أعمال الرسل أنَّ الربَّ "سيأتي هكذا كما رأيتُموه مُنطلقاً إلى السماء"، والمقصود هنا مجيئه الثاني يوم الدينونة. يقول أغسطينوس المغبوط: ما معنى "سيأتي هكذا (بنفس الكيفية)؟ سيأتي في ذات الشكل، فيتم الكتاب: "وينظر إليه الذين طعنوه" (يو 19: 37، زك 12: 10). سيأتي إلى البشر، سيأتي في شكل بشري، بل كإله متأنس... لقد صعد كديانٍ إلى السماء. وال قديس يوحنا ذهبي الفم يقول عن المؤمنين

1 - أول ترتيلة في الغروب على يا ربي إليك صرخت

به في يوم الدينونة أن "إننا نُحمل بمركبة أربينا، فقد استقبله (الآب) وهو صاعد في السحاب، ونحن أيضاً نُؤخذ في السحاب."

أيقونة الصعود مع السيد

الأيقونة هي إنجيل مرسوم، لذلك نحن نكتب أيقونة ولا نرسم. في الأيقونة تداخل بين واقعية الحدث التاريخية كما نقلها لنا النص الإنجيلي، والمعنى اللاهوتي الذي يريد إظهاره كاتب الأيقونة. الأيقونة تأمل في لاهوت الكتاب المقدس. أيقونة الصعود، موضوع بحثنا، كتبها فنان روسي كنسي مجهول، ربّما بتواضعه رفض الكشف عن هويته، لكون الواضح فيها أنه من مدرسة القديس أندره رويلوف الشهير خاصة في أيقونته عن زيارة ضيوف إبراهيم العروفة بأيقونة الثالوث الأقدس). وويلوف بدوره كان من تلاميذ المعلم اليوناني الكبير ثيوفانس (القرن الرابع عشر). حيوية الألوان في الأيقونة، كما حركة الأشخاص الشاخصة نحو العلاء، تدخلنا في حركة صعود نحو المسيح الصاعد على المركبة المحمولة من الملائكة. الوجوه مزيج مزهل من الفرح، السلام والدهشة، مع بعض الحزن الناتج عن الفراق.

أيقونة الصعود وصورة الكنيسة

نرى أيضاً أن الرسل مجموعين في الأيقونة وفي الوسط والدة الإله، وكأنهم يشكّلون جسداً واحداً، ورأس الأيقونة هو المسيح الصاعد. أراد الرسام أن ينقل لنا صورة الكنيسة جسد المسيح وهو رأسها. الرسل هم أيقونة الكنيسة على مدى الدهور. والدة الإله دائماً في وسط الكنيسة، كذلك الملائكة في اللباس الأبيض البراق. الكنيسة الواحدة، الجامعة، المقدسة، الرسولية بكلّ أعضائها الأرضية والسموية. اللون الأخضر، الذي يرمز إلى الحياة، في لباس الرسل يرمز إلى سرّ التجسد الإلهي الذي تمّ في جسد المسيح القائم والمجدّد، والذي يمتدّ الآن إلى الكنيسة بحضور المسيح الإفخارستي، أي بواسطة المناولة التي بها نتحدّ وضعية جسد العذراء في الأيقونة تختلف بطريقة واضحة عن حركة أجساد الرسل. فهي ثابتة ومحاطة بالملاكين. إذ هي تمثل الثبات في الإيمان، وهي تبارك المؤمنين من بركة ابنها الصاعد.

الصاعد إله وموثة

بحسب ترانيم خدمة الصعود الليتورجية، المسيح الصاعد هو "شعاع مجد الآب..."، "الواهب الحياة..."، "...إنسان وإله..."، وإن كان ظهر على الأرض كإنسانم إلا أنه "من الأحضان الأبوية" لم ينفصل، ففي الصعود "الآب يتقبل في أحضانه من هو معه أزلياً، وإن كان على الأرض ظهر بالجسد فذلك أنه من أجلي تمسك مثلي، وارتنقى إلى حيث لم يخل منه..."

المسيح الصاعد هو "الأزليّ الكلمة، الذي قبلَ الدهور، الذي اتَّخَذَ طَبِيعَةً بَشْرِيَّةً، وَأَلْهَهَا سَرِّيًّا...، هو الإله المتجسّد، ابن اله ، إله من إله ونور من نور (دستور الإيمان). هكذا رأيناه في الأيقونة أيضاً بلباسِ ناري، محاط بدائرة نورانيّة، وهي في الأيقونات ترمز إلى "دائرة الكرات الكونية" وأيضاً إلى النور الإلهي الذي غمر وجدّد الكون بأسره. نلاحظ انعكاس النور المنطلق من المسيح على الأيقونة بأسرها.

المسيح في أيقونة الصعود يبارك بيد ويحمل الإنجيل باليد الأخرى وهذه صورة لحركة ليتورجيّة يقوم بها الكاهن قبل تلاوة الإنجيل المقدّس، إذ يُبارك الشعب ويقول: " الحكمة، لنتصب، ولنسمع الإنجيل المقدس؛ السلامُ لجميعكم". بهذه البركة الرسل "أيقنوا" أنّ المسيح هو "بالحقيقة شُعاعُ الآب" كما نرتّل بطروبارية العيد. كذلك المؤمنون ببركة الكاهن، التي هي بركة المسيح، يحصلون على النعمة التي بها يفهمون رسالة النص الإنجيلي المتلو عليهم، ويدركون أنّ المسيح هو ابن الله بالحقيقة.

شركة الأرضيين والسماويين

ما هو سرّي ورائع في الليتورجية البيزنطيّة هو أنّ الأرضيين يشتركون مع السماويين في الحدث، ليس كحدث في الماضي، بل كحدثٍ حاضر. الليتورجية هي حضور أزلي، دائم في مجد التدبير الإلهي!!! لذلك نرى الأفعال في الليتورجيا هي في صيغة الحاضر: "الملائكة يتعجّبون"، الأمم يصفّقون بالأيدي...؛ "إذ قد رأينا في الجبال المقدّسة ارتقاءك أيها المسيح... نسجدُ لآلامك، ونكرّمُ قيامتك، مُمجّدين صعودك الشريف...".

الكون كلّهُ يشترك، فالمسيح قدّس الكون والمادّة بتجسّده: "السموات هيأت عرشه، والغمام هيأت رُكوبه". النبي ذكريّا (ص 27 ع 2)، الذي نقرأه في الغروب، سبق وأعلن عن هذا اليوم: "ها هو يوم الربّ يوافي، وتقفُ قَدَمَاهُ في ذلك اليوم على طور الزيتون المقابلُ أُورشليم من جهةِ مَشَارِقِ الشمس، . وفي ذلك اليوم، يخرجُ ماءً حيٌّ من أُورشليم... مُظهِراً بوضوح الصعود والعنصرة على حدّ سواء.

والسبح لله دائماً